كلمنصو : السياسي : الاديب

Georges Clemenceau

ولد كلمنصو في مقاطعة فنده سنة ١٨٤١ ودرس الطب ومارسه مدة وسافر الى الولايات المتحدة وقضى فيها زمناً ثم عاد الى فرنسا وخاض ميدان السياسة فلم تأت سنة ١٨٧٠ حتى كان اسمه اشتهر فانتخب محافظاً لقسم من باريس وهو من اصعب اقسامها مراساً في الادارة وانتخب في السنة التالية عضواً في الجمعية الوطنية ثم عضواً في مجلس باريس البلدي وتقلب في مناصبه الى ان صار رئيساً له سنة ١٨٧٥ وانتخب نائباً في مجلس النواب وصار بقوة مارسته رئيساً لحزب اليسار المتطرف . وانشأ جريدة العدل ومن ثم ابتدأت شهرته كمنتقد سياسي وقلب للوزارات وزادت شهرته لانه كان يأبى ان ينتظم في خدمة الحكومة ولو رئيساً للوزارة . على انه قبل سنة ١٩٠٦ ان يتولى وزارة الداخلية ثم انه يؤلف وزارة فتولى فيها وزارة الداخلية وليت في الحكم ثلاث سنوات . ومن الجرائد التي انشأها لوبلوك سنة ١٩٠٠ والفجر سنة ١٩٠٣ ثم الرجل الحر والرجل الطليق

صفاته

«ان كلمنصو مدين بجسمه لبريتني وبعقله لفولتر . وقد تمثلت فيه اسمى المناقب الفرنسوية . يكره الدسائس السياسية ولو انقضى عليه نصف قرن وهو يقلب الوزارات . قليل اصدقاؤه كثير الذين يخشونه . وهم يخشونه لا لانه اغتال احداً بل لانه جسور يقابل خصومه بمواجهة ويدوس النفاق ويمزق كل ستار يحجب وراءه ما يكره . كان في شبابه بارعاً في استعمال السلاح لما كان السلاح لازماً لمن قلما لا يهاب احداً . وقد شاخ ولم يزل في عنفوان قوته . قال فيه المستر كنس الاقتصادي الانكليزي « انه لا يرى في الكون الا فرنسا وكل ما سواها باطل حتى شعب فرنسا والوزراء رفاقه . وان لا محل للعواطف في نفسه . والام عنده اشياء تحب واحداً منها وتكره البقية ولا تعنى بها . وعنده ان الالمان لا يفهمون الا الارهاب وانهم بلا شرف ولا مروءة ولا رحمة »

«لقيته اولاً في قصر الاليزه في استقبال رسمي على عهد الرئيس غرافي وكان شارباه صغيرين وشعره اسود وكان كثير الاشارات بيديه حينما يتكلم لتعزيز حجته . وقفت حوله في حلقة صغيرة ومر بنا المسيو ملين وكان زعيماً لطالبي حماية التجارة وكان كلمنصو يقول بوجوب حريتها فاصابت يده وجه المسيو ملين عرضاً لكثرة حركاته فاعتذر اليه وظهر انه سر بالاعتذار لخصمه كما سر بلطمه ولو عن غير قصد منه

«لم يكن الرئيس غراقي يثق به لانهُ كان يحسب انهُ يهيج الخواطر ولا يحسن النفع . اشار عليهِ المسيو ولدك روسو مرة ان يتندبهُ لتأليف الوزارة وكان كلنصو سبب سقوطها فاجابهُ بمثل معناهُ ليس كل من يهدم قديراً على البناء

«ترى الحزم والعناد مكتوبين في كل ملمح من ملامح وجههِ وقلمهُ مثل وجههِ حادّ عنيف لا هوادة فيهِ . وكذا لسانهُ . قال مرة عن المسيو ريبو انهُ قبو لكنهُ لا يحمي من يلجأ اليهِ . والاستعارة حسنة لان الشعب يشعر انهُ في امن اذا كان وزيرهُ حازماً مثل كلنصو ولا يشعر كذلك ولو كان وزيرهُ حكيماً مفكراً مثل ريبو

«وقد يكون كلنصو محبًّا للانتقام كما يظهر من تصرفهِ في قضية كايّو ولكنهُ منصف كريم لم يحجم مطلقاً عن المخاطرة بنفسهِ في سبيل الدفاع عما اعتقدهُ حقًّا . ولا شبهة في انهُ جامع بين القوة الجسدية والعقلية . وهو من رجال السياسة الذين يقدمون الخير العاجل على الخير الآجل . ولا اظن انهُ من الرجال الذين تعميهم وطنيتهم عن الحق اذا لم يكن في مصلحة وطنهم لان اخلاقهُ تستلزم الدفاع عن الحق والعدل من غير محاباة وهذا شأنهُ دائماً . وهو سريع الخاطر جدًّا . فيها الرئيس ولسن يوازن بين الامور في مؤتمر الصلح كان كلنصو قرّر بنفسهِ ما يجب تقريرهِ[1]

كلنصو والحرب

. . . ولما رأى بوانكاره سنة ١٩١٧ ان غصن النصر قد أخذ يفلت من يدي فرنسا استدعى حينئذٍ خصمهُ اللدود كلنصو وعهد اليهِ بتأليف الوزارة لانهُ رأى في شدة شكيمتهِ وثبات عزمهِ وسموّ وطنيتهِ اقوى ضمان على متابعة الحرب الى النهاية فاما النصر واما الفناء . فتقلد كلنصو في الوزارة الجديدة وزارة الحرب . ولم يكن محبوباً من زملائهِ لانهُ كان مناضلاً لا يرحم يتلقى الضربات ويكيلها لاذعاً في صراحتهِ حدّاماً في انذارهِ وتقدمهِ . ولكنهم رحبوا بهِ الآن لان الوزارات الفرنسية كانت قد تعاقبت تعاقباً سريعاً ووزارة بانلفه سلفهِ كانت قد سقطت يحيط بها جوٌّ الريبة والخوف . فكانت الحاجة تدعو الى زعيم يقوم على متابعة الحرب من غير تمثر او تردُّد في اعمالهِ . فوجدوا هذا الزعيم في شخص كلنصو الذي كان قد بلغ حينئذٍ السادسة والسبعين من عمرهِ . فالف «وزارة النصر» في ١٦ نوفمبر ١٩١٧ ولم تنقض عليهِ سنة حتى رأى المانيا قد خذلت خذلاناً حاسماً في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨

ففي ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٧ قال كلنصو في خطبة لهُ : «الدعاةُ الى السلام يجب ان يقضى عليهم في فرنسا . اننا لا نسمح بدسائس المانية ولا بخيانة اوما يشبه الخيانة . الحرب ولا شيء الا الحرب» وهكذا كان فان كلنصو وجّه كلّ قواه الى الحرب فحاكم كايّو واوضح للجمهور ان فرنسا

(١) من مقالة للسر توماس بركلي في «مجلة القرن التاسع عشر وما بعده»

تطلب نصراً كاملاً ولا ترضى بشيء اقل من ذلك . وكلما ارتفع صوت في لهجته شيء من التردد اسكته وكل من وقف في سبيل النصر سدّاً ازاله من غير رحمة

ولما سُئل في ذلك قال : « انا احارب » ولم يزد . فاعاد بذلك للامة الفرنسية ثقتها بنفسها ومكن منها الاعتقاد بان الجهاد الطويل الذي عانت آلامهُ ويلاته لن يكون عبثاً . ومن كان في فرنسا في تلك الايام لن ينسى دلائل الامل والقوة والعزيمة الماضية تنبعث في الامة الفرنسية فتحولها

ولم تلبث ان ظهرت آثار ذلك في صفوف الجنود فاشتدت عزائمهم وصاروا يحاربون وفي حربهم اقتناع المؤمن بالنصر . عبثاً ضاعت محاولات المانيا وحلفائها في تجريد السيوف آناً ومدّ اغصان الزيتون آناً آخر . فلما اخترق الالمان صفوف الفرنسيين والانكليز في مارس سنة ١٩١٨ سعى كلمنصو لتوحيد القيادة الفرنسية الانكليزية في الميدان الغربي وفاز . ولما اعلن الكونت شرنين وزير خارجية النمسا ان فرنسا مستعدة لان تفاوض في عقد صلح منفرد ردّ عليه كلمنصو بجملته اللاذعة « لبعض الناس ضمائر منتنة » . ولكن في مايو خذل الفرنسيون في « شمان دي دام » وتراجعوا حتى المارن ووجه النقد الشديد للقائد العام فقال كلمنصو : « لجنودنا البواسل ضباط جديرون بهم » وفي اغتباط كل سعيهُ بالنجاح حين عيّن المارشال فوش الذي كان يخالفه عقيدة دينية قائداً عامّاً لجيوش الحلفاء

ففي تلك السنة التي توالت النكبات في ميدان الحرب على فرنسا وحلفائها كان اعظم فوز لكلمنصو ان يحتفظ بعزيمة الشعب الفرنسي من التزعزع والضياع . لقد كانت فرنسا عازمة على الانتصار لان كلمنصو نفخ في نفوس ابنائها عزماً امضى من الصلب . ففي كل ليلة كان الطيارون الالمان يحلقون فوق باريس يدمرون المنازل والمعاهد حتى لقد القوا القنابل على وزارة الحربية نفسها . وفي كل يوم كانت المدافع الالمانية الضخمة تصوّب الى باريس تلقي عليها من الجو حديداً حامياً يدمّر الكنائس والمستشفيات . ما اكثر القرى التي اتشح اهلها بالسواد حزناً على فقد الرجال في ميادين الحرب ! ولكنّ كلّ ذلك زاد الشعب الفرنسي بزعامة كلمنصو قوة وصلابة . وما زال هذا شأن كلمنصو في الميدان الداخلي حتى وردت الانباء ان ارزبرجر مندوب الالمان وصل الى قطار القائد العام يطلب عقد الهدنة وفي ١١ نوفمبر وقفت المدافع عن الدوي وانقشع هذا الكابوس المخيف عن اوربا

اما ما فعلهُ كلمنصو في مؤتمر فرسايل ليكسب لفرنسا ما يعوضها من خسائرها الفادحة في الحرب وما فعله بعد ذلك بعد استقالته من رآسة الوزارة فليس لدينا متسع لبيانه اتما جئنا على ما تقدم لنبين ان عزيمة كلمنصو نفخت العزيمة في صدور الفرنسيين وان ارادتهُ الصلبة كان من اقوى العوامل في كسب الحرب للحلفاء

كلمنصو والاكاديمية

في خريف سنة ١٩١٨ انتخب كلمنصو بالاجماع عضواً في الاكاديمية الفرنسية . فلم يكن الافرنسي الاول الذي انتخب للاكاديمية لاسباب اقلها تفوقهُ بالادب . ففي سنة ١٩١٢ انتخب پوانكاره عضواً وپوانكاره في تلك الايام لم يكن قد بلغ قمة المكان في بلاغة التعبير التي بلغها بعد الحرب. كان كاتباً عادياً قد انشأ رسائل لا بأس بها في مترلتك وغيره من الكتاب المعاصرين . ولكنهُ علاوة على ذلك كان الرجل الذي رأى بعبقريته الخطر محدقاً بفرنسا فأصرَّ على جعل مدة الخدمة العسكرية ثلاث سنوات وغامر بمقامهِ وشهرتهِ في سبيل ذلك. فكافأتهُ الأكاديمية بانتخابهِ عضواً فيها . وبعد انتخاب پوانكاره انتخب لوتي ليتنظم في صفوف « الخالدين» وكل آثاره الادبية حينئذٍ مجموعة رسائل طبعت طبعة خاصة ووزعت على افراد قلائل يوم الانتخاب او بعيده . ولكن الماوشال لوتي كان اعظم مستعمر انجبتهُ فرنسا . والمرجح ان الأكاديمية حسبت وجودهُ في صفوفها يزيدها مكانة واعتباراً . وفي اثناء الحرب انتخب جوفر عضواً في الأكاديمية فكان انتخابهُ باعثاً عظيماً على دهشتهِ. هذا رجل عمل يندر ان يكتب وقليلاً ما يقرأ ، ومما يؤثر عنهُ انهُ هنَّأ رجلاً كتب سيرتهُ لانها جاءت «موجزة» على انهُ كان يطل المارن ويجب ان يكون من الاربعين الخالدين !

ثم جاء دور فوش فانتخب كما انتخب رفاقهُ . بيد ان فوش كاتب افرنسي مجيد ولكنهُ يوم انتخب بعيد ١١ نوفمبر ١٩١٨ لم يكن العالم يرى هذه المزية فيهِ وقليل من يدركها الآن

كل هذه الانتخابات تمضُّ الأدباء الذين يحسبون الانتخاب الى عضوية مجلس ادبي « كالأكادمي » يجب ان يبنى على تفوّق المنتخب في ميدان الأدب . والحقيقة ان الاكاديمية جرت على انتخاب غير الادباء من اقدم عصورها الى الآن . ولم يتعوّد الناس حسبانها مجلساً ادبياً لغوياً الاَّ في القرن التاسع عشر . فظن الناس حينئذٍ ان بابها مفتوح للكتّاب فقط وان المؤلفين الذين يبلغون رتبة معينة من الشهرة والمكانة لا بدَّ ان ينتخبوا اعضاء فيها . لذلك قال زولا : ما زال هناك اكاديمية فيجب ان اكون عضواً فيها . ولو انهُ قال هذا في القرن الثامن عشر حين كانت عضويتها غير محصورة في الادباء لهزء منهُ الناس

اما فيما يتعلق بكلمنصو والاكاديمية فقد انقسمت الآراء . فقد كان كلمنصو الرجل المناضل الذي لهُ خصوم ومريدون وكان كذلك زعيم الامة في نضالها وفوزها. ولكنهُ كان كذلك مؤلف عشرين مجلداً من الرسائل وواضع رواية تمثيلية تدعى «حجاب السعادة»

فوق : كلنصو يطابع . تحت : كلنصو مستجى على فراش فلوت

منتخب يناير ١٩٣٠ أمام الصفحة ٤٩

شاهدها كل الناس واعجبوا بما تنطوي عليه من فرائد الحكمة الشرقية مع انها في نظر النقد لا تكفي لان تضع صاحبها في مقام الادباء العظام. فهل انتخب كلمنصو للاكادمية لانه المؤلف الذي يستحق ذلك او انتخب رغماً عن كتبه لاسباب تماثل الاسباب التي انتخب من اجلها پوانكاره وليوتي وجوفر

الواقع ان كلمنصو اذا قسته بمقاييس الادب العالي جاء في الطبقة الثانية بين الكتاب. فهذا الرجل الذي خاض ميدان السياسة خمسين سنة يحارب ويناضل بكل الضربات ويتلقاها، واخيراً تقلد الزعامة في امته في اشد الخروب مراساً فقادها الى النصر، كان يرتزق من الصحافة. واكثر المجلدات التي حبّرها، بل كلها، موسومة بسمة الكتابة الصحافية التي لا تبقى على مرّ السنين. يخالجك ألم شديد حين ترى يد هذا الزعيم العظيم والسياسي الفذ قابضة على القلم تكتب به قصصاً قصيرة قد يكون لها قيمة ورواء. ولكنها على كلّ حال لا تذكرك مطلقاً بقصص ده موپاسان. اما آراؤه العلمية والفلسفية فمستعارة في الغالب من سبنسر وعليها مسحة الاستعارة. وفي كل ذلك كان يعوزه الاسلوب الذي يجعل الكتابة رائعة بجمالها ويحول الكاتب من حائك الالفاظ الى متفنن بارع يجعل كلّ لفظة نثرة من النور وكل عبارة قطعة من الحياة. ولذلك يرجّح رأي القائلين بان كلمنصو انتخب عضواً في الاكادمية رغماً عن كتبه. والمحتمل ان كلمنصو نفسه كان يشاركهم في ذلك

انتخب پوانكاره وليوتي وجوفر لعضوية الاكادمية واستقبلوا فيها اما كلمنصو فانتخب ولكنه رفض ان يدخلها ليستقبل فيها كما جرت العادة. فاتحجت له اعذار كثيرة منها انه يقضي معظم اوقاته في بيته بالريف وانه يخاف ان يلتقي بخصمه پوانكاره في ساحة الاكادمية ولكن المرجح ان احجامه عن دخولها ناشئ عن دقة احساسه وعن اعتقاده بان الكلّ باطلٌ. فبعده من الاكادمية كبعده عن ميدان السياسة كان ناشئاً عن اثر سني النضال في إلانة عريكته وعن شعوره بانه صار على حافة القبر — فساوى هذا الاعتبار في نظره بين مجد الحياة وهوانها — وعن اعتقاده بتقصيره في ميدان الادب عن كتاب فرنسا الخالدين. فكف على الدرس والمطالعة والتأليف

ومما لا يعرفه الناس عامة عن كلمنصو انه نقل رواية فوست الى الفرنسية شعراً ولكنه لم ينشرها وعنده ان شكسبير اعظم شاعر وافلاطون اعظم فيلسوف وپوليوس قيصر اعظم سياسي ونپوليون اعظم جندي. وتلخص فلسفته في الحياة بقوله: « العمل هو المبدأ. العمل هو الوسيلة. العمل هو الغرض. العمل الحازم الذي يقوم به الرجل الفرد لخير المجموع. العمل المنزّه الذي يرتفع فوق بُطل المجد. فوق احلام الخلود. فوق الالم الناشيء عن ذكر مصارع الخذلان. فوق الموت. العمل الذي يُخرج المثل الاعلى ونبيه. هو القوة الوحدة والفضيلة العظمى »

فامسك المقدوني يد محمد علي وضغط عليها ضغطاً شديداً فلم يحرك والي مصر ساكناً وظل رابطاً في مكانه ثابتاً صامتاً، فالتفت اليه الله تعالى وقال له « والآن تقدم انت يامحمد علي بدورك واخطف على يد غريمك بكل قوتك » فانقاد للامر وفي الحال اصفر وجه المقدوني ولم يقو على تحمل الالم . هنا قال محمد علي لاعوانه « وفي تلك اللحظة استيقظت من نومي ولكن لا تظنوا ان في هذا الحلم ما يبعث على الاستغراب فان هذا المقدوني كان ابن ملك وقد آل صولجان الملك الى يده الضعيفة عن طريق الارث أما أنا فضغطت الصولجان بيدي »

ومن قصائد شوقي الرائعة القصيدة الطويلة التي بسط فيها وصاياه لكريمته الاميرة فاطمة الزهراء وقد اوصاها فيها بأن تتخذ لنفسها من القرآن الكريم نبراساً في هذه الحياة ، وان تجتهد بالمطالعة فيه كلما استطاعت الى ذلك سبيلاً ، واوصاها في الوقت عينه بنبذ التعصب والغلو الديني والابتعاد عن مناواة الاديان الاخرى أو الطعن فيها ، واوصاها فوق ذلك باطاعة والدتها مذكراً اياها بما تحملته من اوجاع وآلام في سبيلها طالباً اليها ان تحلها من حيها المحل اللائق بها . ثم اوصاها بزيارة مدافن آبائها واجدادها من وقت الى آخر لتستمد من نبوغهم وحياً ولتقرأ في وفاتهم تاريخاً حافلاً بجلائل الاعمال . وانت من يطلع على وصاياه الاخرى التي وردت في هذه القصيدة يشهد له بان آراءه في التربية تضاهي آراء اكبر المربين في هذا الصدد . ومن ذلك قوله لكريمته عند اشارته الى الطريقة التي ينبغي ان تربي اولادها عليها انه اذا عملوا عملاً يستحق اللوم فني استطاعتها ان توبخهم عليه وتؤنبهم بدون ان تضربهم لاعتقاد شوقي ان الضرب لم يكن في وقتنا علاجاً للناس بل هو يرى ان الحلم يقوّم الاخلاق اكثر من وسائل الشدة والتذرع بطرق العنف

وكان الراحل الكريم لا يدع عيد جلالة الملك أو عيد جلوسه يمر بدون ان يهنئه به بقصيدة رقيقة الابيات نبيلة المعاني يرفعها اليه ابتهاجاً بتلك المناسبة ولشوقي قصائد كثيرة في تهنئة ابناء وبنات عمه في احوال ومناسبات شتى ، كما ان له قصائد منوعة في وصف آثار مصر الخالدة منها قصيدته في ابي الهول وموشحته عن وادي الملوك وتحيته لنهر النيل ومناجاته لاهرام الجيزة الى غير ذلك من القصائد التي تجلت فيها توطينه الصادقة بأجلى مظاهرها ، وقد قال مرة وهو يصف لي حبه لمصر « انا احب امهاتنا لانهن اطعمنا في ابان نعومة اظفارنا فكيف لا احب وطننا وهو الذي نستظل بسمائه ونشرب من مائه ونتغذى بثماره وارضه »

كريم ثابت

قليل من الناس يدركون الفرق بين الرعن « ضربة الشمس » « وضربة الحرارة » ولماذا طول الاحتجاب عن الشمس (كاحتجاب روّاد القطبين) يجعل العيون زرقاء . لماذا تضعف قوة الاشعة الكيماوية في نور الشمس كلما هبطنا الى مستوى سطح البحر ؟ ولماذا يفوق نور الشمس الطبيعي الذي لم تحجب منهُ بعض اشعته نورَ المصابيح الصناعية التي تصنع خاصة لتشعّ الاشعة الصحية ؟

لقد تعلمنا في كتب العلم المختلفة ان النباتات تعيش وتنمو بتعرضها لنور الشمس . وان النور الواصل اليها في الصبح افعل في نموّها من النور الذي يصلها في سائر ساعات النهار. لقد تعلمنا ان نور الشمس يقتل الجراثيم وانهُ يزيد ما في الدم من محتوياته الحيوية والفصفورية والحديدية وانهُ يزيد مقاومة الانسان للمرض باكثار كريات الدم البيضاء في دمه . لقد تعلمنا كلّ هذا ولكن ما اكثر المسائل الغامضة التي لا تزال حتى الآن رهن البحث والتحقيق

نريد ان نعرف — في مقدمة ما نريده — الحقائق التي تقوم عليها هذه العلاقة الحيوية بين الاشعة والحياة — حياة الحيوان والنبات على السواء. كيف تحدث هذه الامواج تغيراً في كيمياء الدم ؟ ما فعلها في شفاء امراض الجلد والعظام والاسنان ؟ كيف تمنع العدوى وما هو اثرها في العضلات والاعصاب والغدد ؟ كيف نستطيع ان نستخدم الامواج المختلفة للاغراض المختلفة ؟

الأشعة الحيوية

من الحقائق الجديدة التي كُشف عنها ، وجه الشبه بين « الكلوروفل » المادة الخضراء في النباتات و « الهماتين » المادة الحمراء في الدم. فالأولى مادة معدنية تحتوي على مقدار من المغنيسيوم والثانية من مركبات الحديد . فاذا حجبت نور الشمس عن النباتات اصفرت وضعفت وصارت عرضة للاصابة بالأمراض النباتية . وقد دلّت المباحث العلمية المتسعة النطاق في انواع مختلفة من النباتات على اثر الأشعة التي فوق البنفسجي وغيرها من اشعة الشمس في بناء الأجسام النباتية وتقويتها . ففي كلية ماستشوستس الزراعية اخذت طائفة